هل انتهى عصر التنوير الفكري في الإعلام؟

الأدب العربي الحديث ولد على صفحات الجرائد ولولاها لم يكن!

إسماعيل مروة

يتحدث كثيرون اليوم عن العلاقة التي تربط الإعلام بالأدب، وخاصة من الناحية المهنية، فيعدون أصحاب الأسلوب العالي الأدبي في إطار مختلف عن الصحفيين والإعلاميين الذين درسوا الإعلام علماً مستقلاً وفناً خاصاً أكاديمياً، وذلك خاضع للرؤية الخاصة، ففي الوقت الذي يعدون فيه محمد حسنين هيكل ومصطفى أمين وعلي أمين وأنيس منصور من الصحافيين ينفون ذلك عن عبد السلام العجيلي وعبد المعين الملوحي ومحمد الماغوط وسواهم ممن أسسوا للصحافة، وممن أسهمت الصحافة في نشرهم وتطويبهم بشكل من الأشكال.

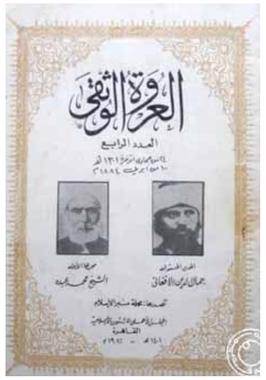

النشأة والتاريخ

هناك مشكلات يعانيها هؤلاء، تتمثل في أنهم لا يعرفون الكثير عن تاريخ الصحافة، والعربية خاصة، وبالتالي هم يجهلون تاريخ الأدب العربي الحديث والنهضة العلمية والأدبية التي كانت قبل أكثر من قرن ونصف القرن وأجهضت.. فالصحافة العربية لم تنشأ في أحضان الأكاديميات ولا الدول ولا السلطات العربية، وإنما نشأت الصحافة العربية في القرن التاسع عشر، حين لم تكن هناك دول مستقلة، ولم تكن الجامعات بكل اختصاصاتها قد أنشئت!

ولدت الصحافة العربية بجهود فردية لمفكرين وأدباء وشعراء من «العروة الوثقى» إلى «لسان الحال» إلى «لسان العرب» إلى «الأصمعي» إلى «الشام» إلى «المقتبس» إلى «القبس» إلى «المقتطف» إلى «المؤيد» إلى «الأهرام» إلى «الرسالة» وجلّ هذه الصحف والمجلات قام عليها شعراء وثائرون مولوها وأصدروها واعتقلوا من أجلها، وأفلسوا فداء لهذه المهنة التي أحبوها، فصدرت حيناً، وأوقفت حيناً، وأغلقت ولوحق ناشروها وكاتبوها مثل «الشهباء» وعبد الرحمن الكواكبي الذي انتهى به المطاف مسموماً على أيدي رجال السلطان عبد الحميد بعد فراره إلى القاهرة.

وهذه النشأة والبدايات تظهر دون أدنى شك أن الصحافة جاءت إلى البيئة العربية مهنة أرادها الأدباء والمثقفون، احتضنوها أحياناً، وألقوا أنفسهم في حضنها في أحايين كثيرة، فكانت لسانهم ولسان حالهم، وكانوا حماتها وسدنتها وكاتبيها ومموليها وناشريها، وإليهم يعود الفضل الأول في نشوء الصحافة وليس للدول، ومغامرة الأخوين تقلا في «الأهرام» أكبر من أن يتم تجاوزها.

الوسيلة والوعي

منذ زمن بعيد كان أثر الكتاب الصادر أقل بكثير من الإعلام، فقد لا يذهب أحدهم لشراء كتاب أو قراءته، وربما اشترى أحدهم كتاباً لشهرته ولما سمعه عنه، لكنه يضعه على رفوف المكتبة دون قراءة، لذلك بعدَ المؤرخون، ومؤرخو الأدب خاصة أن المطبعة والصحافة من علامات النهضة وأسبابها، وهذا وجه مهم للغاية من وجوه الحقيقة، ولو عدنا فإننا سنجد أنه ما من أديب وصلنا ووصل أدبه وشعره إلا عن طريق الصحافة، وما من أديب إثر ولوحق وربما اعتقل وقتل إلا لأنه عمل في الصحافة.. فخير الدين الزركلي حكم بالإعدام مرتين بسبب الصحافة، ونجيب الريس اعتقل في أرواد ونظم نشيده بسبب الصحافة، وعبد الرحمن الكواكبي قتل بسبب الصحافة.. والأسماء الكبيرة في العصر الحديث كلها بلا استثناء كانت تكتب للصحافة، والصحافة هي التي هذّبت الأسلوب من السجع الثقيل المقيت إلى الأسلوب المرسل كما كان من أمر الشيخ الإمام محمد عبده الذي مرّ بالمرحلتين.. وما كان لنا أن نسمع بهؤلاء الأدباء لولا الصحافة التي عملت على شهرتهم، فكان كل كاتب من الكتاب محصوراً بصحيفة تمثله سياسياً أو حزبياً أو فكرياً، لا يكتب لسواها، وهذا ما جعل الصحافة نفسها تتطور عربياً بسبب تنافس الأقلام واستقطابها.

> الصحافة والأدب والنقد في بدايات النهضة تعاون لا تعارض

الأدب ومعاركه والصحافة

يتحدث النقاد عنه المعارك الأدبية بين محمد عبده وخصومه، بين الكواكبي والعثمانيين، بين الزركلي والفرنسيين، بين العقاد والمازني من جهة وشوقي، بين طه حسين والرافعي، بين وبين.. ويبكون على تلك الأيام التي كانت المعارك الأدبية قوية ومنتجة، ولكن الحق بأن هذه المعارك لم تكن لولا الصحافة، فما من أحد ينتظر خصمه سنوات ليتم تأليف كتابه ويطبعه ليرد عليه! بل لا قيمة لذلك، لكن المتتبعين يعرفون أن الصحافة كانت منبر هذه المعارك بشكل أسبوعي وعلى أبعد تقدير شهري، حيث يكتب الواحد منهم وينشر، ثم يأتي الآخر وعلى صفحات جريدة منافسة ليرد عليه وينتقض آراءه، ولأن التواصل من خلال الإعلام مباشر مع جمهرة المثقفين والأدباء، كان الواحد منهم يبذل جهوداً كبيرة ومضنية، ويستعين بتحصيله وقراءاته لتقديم أفضل ما لديه، لأن الأمر يصل حدّ المبارزة بين مثقف وآخر، شاعر وآخر، أديب وآخر، واتسع الأمر ليصبح الأمر مبارزة بين تيار وآخر، واختاروا أسماء ذات دلالة، القديم والجديد وسوى ذلك.

نتاج صحافة أم أدب؟

يقلّب اليوم القراء كتباً كثيرة بين أيديهم مثل: من بعيد، تاريخ الأدب العربي، ألوان، حديث الأربعاء لطه حسين، وحديث القمر، وحي القلم للرافعي، والديوان للعقاد والمازني، وأعمال جبران خاصة جبران العربية والمعرّبة وغيرها من الكتب القيّمة، ولا ينتبه كثيرون إلى أن هذه الكتب العظيمة اليوم، والتي أصبحت تراثاً للعربية المعاصرة، بغض النظر عن الرأي فيها، هذه الكتب كانت نتيجة طبيعية للصحافة والمجلات، فكل هذه الكتب نشرت مقالات ثم جمعت، وأول ما نشره جبران خليل جبران كان كتاب الموسيقى، مقالة موسعة صارت فيما بعد كتاباً، وآخر كتبه المعربة (التائه) كان موزعاً في الصحف، جمع بعد وفاته في أول طبعة له.. ووحي القلم للرافعي، وهو من الكتب المهمة التي يتناولها الدارسون بإجلال لم ينشر كتاباً، وإنما كان مقالات في مجلة الرسالة لصاحبها أحمد حسن الزيات الذي دعا الرافعي للكتابة عنده، لكن الأجل أدرك الرافعي، فقام تلامذته يتقدمهم الأستاذ العريان بجمع هذه المقالات في كتاب حمل اسم (من وحي القلم) دلالة على مضمونه وما يرمي إليه، وبما يناسب ما جاءت به قريحة الرافعي.. فالصحافة هي التي أغنت المكتبة العربية الحديثة بمئات الكتب والأبحاث والدراسات، وكان لها الفضل الأكبر في نشر المعرفة ورفع مستوى الخطاب الثقافي بين العامة والقراء، وجعلت القراء شركاء في هذا النقاش الفكري العالي والغني، ولا يجوز أن نرد ذلك للكتاب وحده، فهذه الكتب كانت صفحات في الدوريات قبل أن تكون في كتب، ولابد من ملاحظة مهمة بأن الصحافة العربية في بداية القرن لم تكن مصطفة بالتخصص بالشكل الحاد، فجرائد الأحزاب، الوفد والوطني وسواه هي التي احتضنت كتابات طه حسين والعقاد، أي الجرائد السياسية العامة هي التي كانت ميدان الأقلام الثقافية الفاعلة من محمد عبده إلى أحمد لطفي السيد وسواهما من الكتاب الكبار الذين أغنوا الحياة الثقافية والأدبية والفكرية.

ما تقدم يذكر للتدليل على التعاضد بين الثقافة والأدب من جهة والصحافة من جهة أخرى، ما أدى إلى رقي الحركة الثقافية والأدبية، واشتداد أوار المعارك الثقافية التي عادت إيجاباً على المناخ الفكري وغذاه بسبب حدة الثقافة وحرارته في تلك المرحلة المهمة من حياتنا الحديثة.

ازدهار للصحافة والأدب

إن هذه الحركة الدائبة التي تؤكد فضل الصحافة على الأدب، حيث ولد الأدب الحديث شعراً ونثراً وازدهر على صفحات الصحافة، ليس المقصود منها أن تعزز مكانة أحدهما على الآخر، وإنما تقصد بالدرجة الأولى أن هذا التلاحم العضوي بين الأدب والصحافة والسياسة والفكر أدى إلى ازدهار كليهما، فالصحافة لم تعد مصحوبة في صحفها الأحزاب السياسية، بل صارت الصحافة سمة العصر، فحلب فيها عدد من الصحف، ودمشق عدد آخر، وبيروت والقاهرة، بل إن العودة إلى أرشيف الصحافة في تلك الفترة تؤكد وجود صحف ذات قيمة وأهمية في المدن والبلدان البعيدة عن المركز والعاصمة، ونظراً لسهولة استصدار الصحف فردياً أو حزبياً، وجدنا كمّاً من الصحف يمكن أن يباهي بها العرب في العصر الحديث، وهذه الكثرة هي التي ضحت فيما بعد إلى خلق الصحف والمجلات المتخصصة، فكانت «الرسالة» و«المقتطف» و«مجاني الأدب» والذي سمح بالجنوح إلى التخصص كثرة الصحف والدوريات.

وعلى جانب الأدب والثقافة كانت هذه الصحف تحتاج إلى أقلام ذات مستوى عال، وتعمل على استقطاب كتّاب الكبار، أو الكتّاب الذين يُلمس لديهم النبوغ أو شيء منه، فازدهر النقد والشعر والأدب.

العلاقة التبادلية بين الصحافة والأدب أدت إلى ازدهار كليهما، ولم يحدث أي نوع من التنافر بينهما، بل على العكس تماماً كان الارتقاء كماً ونوعاً في الصحافة، وكان الأدب والنقد في أبهى صوره وحالاته، سواء كان واضحاً وقاسياً، أم كان ناعماً بشكل من الأشكال، وكما تشير الدراسات يكفي الصحافة فخراً أنها كانت مستقطبة لأساطين الأدب واللغة والبلاغة، وأنها كانت الحافظ الحقيقي للأدب الحديث وما فيه، ويكفي أن نعرف أن أحمد شوقي طبع ديوانه في أربعة أجزاء وفي حياته، وعلى الشكل الذي يريد، لكن وجود الصحافة مكن الباحثين من جمع أشعاره التي أهملها أو استثنائها لسبب أو لآخر، ومن صفحات الصحف التي نشرتها، فكانت الشرفات المجهولة بحجم الديوان المنشور من قبل!

هل تراجع الأدب أم تخلت الصحافة؟

اليوم لم تعد الصحافة كما كانت، والأدب تراجع دوره وتراجعت مكانته في الصحافة، فخسرنا دور الصحافة التنويرية التثقيفية، وتحت ذرائع الصحافة الإخبارية وصناعة الصحافة، وانحسر الأدب في دوريات متخصصة ليس لها جماهيرية الصحف اليومية والحزبية التي تسير بين العامة، فروايا أولاد حارتنا لنجيب محفوظ أخذت حظها لأنها نشرت مسلسلة في الأهرام، ولو نشرت في صحافة متخصصة فلن تصل إلى ما وصلت إليه، وقبل طباعتها في رواية مستقلة.

باختصار: إن متخصصي الصحافة صنعوا لأنفسهم طوقاً يدّعي أن الصحافة شيء مختلف عن الأدب، وذلك بغية قضايا شخصية تخصصية، والأدباء انعزلوا في أماكنهم لأنهم كانوا مبعدين، ولم نعد نجد بارقة أدبية تستحق الوقوف عندها! ولم نعد نشهد المعارك الأدبية كالتي كانت بين محمود شاكر ولويس عوض ومحمد مندور وميخائيل نعيمة، ناهيك عن المعارك الأكثر شهرة في أدبنا الحديث، وهذا التوقع من كل جانب، واستثناره باختصاصه أدى إلى تراجع هذين الدورين، ويكفي أن يتابع الواحد منا الصحف الخاصة بالأحزاب العربية وفي كل البلدان ليجد منشورات لا قيمة لها تفتقد لكل مقومات الصحافة التي كانت موجودة قبل قرن من الزمن!

وأخيراً

لا ضير في أن تكون الصحافة علماً لأصحاب الاختصاص، وأن يكون الأدب والنقد لأهله، لكن المساحة المشتركة بينهما لابد من أن تعود للتعاون لا للتنافس، لعل الحراك الثقافي والأدبي والفكري والسياسي يعود إلى أوجه، فالفكر السياسي والفكري تقدمه النصوص، ولا تقدمه الأخبار، وخاصة في غمرة التقدم في وسائل التقانة والتواصل، التي يجب أن تدفع إلى مراجعة تعيد للصحافة ألقها المؤثر، وللأدب المنبر الذي يقدم رؤاه من خلاله.

أردت أن أصيب أمراً واحداً وهو الأمل رغم ويلات الدمار

رايا الريس لـ«الوطن»: الرسم ظاهرة ثقافية يتسع للأحلام رغم ما خزّنته ذاكرتنا البصرية من مشاهد بشعة

سوسن صيداوي

الحرب توجع الروح، الحرب تكسر كل طموح، الحرب تنثني العزائم وتحبطها، لا تذهب إلا بعد أن تترك ندباً ليس من السهل شفاؤها، تبقى ذكرياتها السوداء في الداخل معششة بكل مشاعر الحزن والأسى. ولكن هل هكذا تبقى الحال، وهل نستسلم؟ بصيص الأمل يومض من بعيد، لأن الحياة ستستمر مهما كانت الظروف قاسية، هذا مبدأ من المبادئ التي تعتمد عليها الفنانة التشكيلية رايا الريس في مشوارها الحياتي والفني. فرغم الدمار المعماري والاقتصادي والنفسي الذي خلّفته الحرب، إلا أنها تتشدد لتتابع بالاستمرار، وهذا واضح في أعمالها الفنية التي قدمتها للجمهور في معرضها الفردي الأول الذي تمّ افتتاحه في غاليري زوايا في دمشق. احتوى المعرض على إحدى عشرة لوحة، متفاوتة الأحجام، ولكل لوحة قصة تبوح بمكنونات الفنانة الداخلية، إحدى عشرة تجربة فنية تبذل فيها الكثير من الجمال في طريقها لبلورة هويتها الخاصة.

بين المرأة والعمران

أسلوب متباين جمعته الفنانة في لوحاتها، تركيزها على قضايا المرأة، وتصويب أفكارها ما زال واضحاً للجمهور، وتجلى في المجموعة التي حملت عناوين: لا وعي، راقصة الباليه الحامل، كن أنت، الطفل، تأملات بورتريه، لم أعد إنساناً، العقل الباطن، راقصة الباليه الحزينة.

وعن التزام التشكيلية رايا الريس بالمرأة في حديث خاص بـ«الوطن» قالت: بداية المعرض يمثل حقبة زمنية أثرت بي وبكل سوري، وتلمس المرأة بمرحلة من المراحل بشكل خاص، لكونها كانت مقيدة، فالحياة توقفت ولم يعد بإمكانها تحقيق أحلامها وبناء مستقبلها، ورغم الإحباط الذي يعم المشهد، يجب أن نتمسك بالأمل وبقوة، وأن نتحدى كل الظروف، وبالفعل هذا أنا قد عشته كباقي النسوة، ولكنني حاولت أن أتابع، فإنجابي لطفلتي رغم الإرهاق والتعب، حيّدت ظروفه مع كل المصاعب الأخرى، كي أرسم، وبالنتيجة عبرت عنه في لوحة راقصة الباليه الحامل، فهي لن تسمح لشيء بأن يعيق شغفها بالرقص.

وفي جانب مختلف بالأسلوب عما اعتدنا عليه من الفنانة هناك مجموعة تتضمن الأعمال التالية: شيء من الحرب، عائدون، الخروج من حمص. وحولها أضافت الفنانة: «أنا أعشق التعامل مع الألوان الزيتية، ولكن في المجموعة الثانية والتي تصور أنقاض الحرب، اعتمدت الإكريليك إضافة إلى خليط من المواد. أما بالنسبة إلى موضوعها أردت أن أصيب أمراً واحداً، وهو الأمل رغم ويلات الدمار.

قبين الحطام هناك أغراض شخصية للقاطنين في هذه المنازل، وبوجود الأغراض الخاصة بالسكان، والتي أشرت إليها (بالشال) الذي يمكن أنه يعود لأم أو جدّة، قصدت من خلاله دفء العاطفة رغم بشاعة اليأس من الحطام، هذا وفيه الأمل الواجب التفكير به، بأن السكان يجب أن يعودوا إلى بيوتهم، والأمل بالبناء والعمارة من جديد. وهذا الأمر لمسني بشكل شخصي كما لمس السوريين كافة، وبالطبع يبقى الرسم ظاهرة ثقافية ما زالت تتسع للأحلام، رغم ما خزّنته ذاكرتنا البصرية من مشاهد بشعة، الأخيرة التي يجب أن تكون حافزا بإغناء مشاعرنا الداخلية، رغم فقدي لأعزائي، وعيشي للحرمان، وغيرها الكثير من الأمور التي صرفتني إلى البعيد عن الرسم، ولكن في النهاية، السلبية اجتمعت وبطريقة ما لتدفعني نحو ما أحب في إضافات جديدة في مشوار الرسم».

وختمت رايا الريس حديثها بتفاؤلها بالحركة التشكيلية السورية، لكونها تتابع أعمال زملائها الذين يناضلون لنشر الجمال رغم قبح الواقع.

من جانبه تحدث الفنان التشكيلي عصام مأمون عن تجربة الريس قائلاً: الفنانة رايا ما زالت في مرحلة التجريب، وفي أعمالها الحاضرة في معرضها هذا، نلحظ أنها تعمل وفق أسلوبين: الأول يظهر توجهها نحو الواقعية والكلاسيكية التي تدمج فيها شيئاً من المعاصرة. وفي أسلوبها الآخر نجدها ذاهبة نحو التجريد. وبالطبع هذه التجارب هي التي توصل الفنان إلى هويته. أما بالنسبة إلى هذا المعرض فهو معرض رايا الفردي الأول، وأنا أشاهد عبر لوحاته الجرأة، لكونها تستخدم الكولاج كي يخدم مشهداً بصرياً جديداً، هذا كما أنني ألحظ الصدق بالأعمال، لكونها تعكس بالرسومات حياتها الخاصة، وأخيراً أنا أشكرها وأشدّ على يدها لأنها تعمل وتحاول إثبات نفسها في هذا الوقت بالذات، والذي تكثر فيه كل الضغوطات التي تبعدنا حقيقة عن الدخول للمرسم والبدء بأي عمل جديد.

برجك اليوم 8/8

نجلاء قباني

الحمل

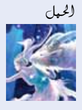

تنظر إلى الواقع نظرة شمولية وتقرر الكثير من القرارات التي تحتاجها لتحسن وتطور أمورك العملية فأنت قيادي ومحب ومساهم في مساعدة الآخرين وقد تفكر بسفر لأنك تملك تشكيلة متنوعة من الخيارات تجعلها نقاط ارتكاز لترتب أمورك. عاطفياً تعيد طرح نفسك كشخص قادر على التصرف وقاد على قيادة مجتمعك باتجاه الأفضل.

الثور

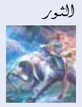

المشاكل الشخصية ليست مجدية فانتبه لأفكارك السلبية واحذر من نقاشات عائلية فقد تشعر اليوم بالتقصير تجاه أحد المقربين وقد تقلق على صحة أحد أفراد العائلة.

عاطفياً لا ترد بشكل عفوي وعصبي فأنت من أكثر الأبراج تسرعاً في القول أو في التصرف.

الجوزاء

حاول أن تظل متفائلاً كما أنت لأنك تتمتع بالميزات نفسها والدعم لنهاية الشهر فقد تهب الرياح اليوم لمصلحتك وتوفر لك أوقاتاً ممتازة ووعوداً متنوعة ومناسبات.

عاطفياً أنت صريح وهذا سيفيدك لجعل علاقاتك أقوى وأمتن وأكثر دواماً فأنت تود أن تباشر يومك بطريقة أفضل.

السرطان

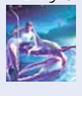

أيام ذهبية للمكاسب المالية والشراكات والعمل حتى تقاشاتك سببها مالي فأنت كريم اليوم وقد تتعرض لمصاريف في واجب لغيرك فلا تصرف مالك في غير مكانه.

عاطفياً هذه الفترة للقاء مع أشخاص يمنحونك الكثير من التسهيلات وتزداد الأوساط التي تتعرف عليهم.

الأسد

أنت تملك جرأة استثنائية وتؤمن بخياراتك وهذا ما يلزمك في محاولة منك لتحكم الخناق على المشاكل فاتحاً طريقاً لا رجعة فيه لخيارات حقيقية لتنزل عن كاهلك ما يضايقك وتخرج من عزلتك أو كآبتك لتواجه من حولك بسعادة. عاطفياً أنت سعيد لأنك تلاقي الترحيب وتعزز الثقة بك بكلامك المقنع وتأثيرك الكبير على محيطك.

العذراء

كل ما عليك فعله هو التحلي بالثقة والهدوء في تعاطيك مع المستجدات التي تسمعها وتضع النقاط على الحروف في علاقاتك الشخصية وتكتشف عدوك من صديقك فتأكد مما تسمع.

عاطفياً ابتعد عن حالة الاستنفار التي تحملها في داخلك فأنت تظن أن كل ما يحيط بك عدوك وهذا غير صحيح.

الميزان

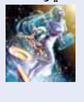

في الأغلب حولك الكثير من الأشخاص الذين يحتاجونك ويغيرون حياتك الشخصية ترابط سفر تعارف علاقات جيدة أغلبها أسري وعائلي وعاطفي فأمورك العاطفية والعائلية جيدة بل تحمل الأفراح أو الدعم بزيارات أو تواصل. عاطفياً تبادر بلطف تجاه الآخرين وتستقل موهبتك بالكلام لتفصح عن مشاعرك بحرية وسعادة.

العقرب

قد تتضايق من إزعاجات بسبب شخص لا يفهم في أمورك ولكنه يتدخل ويزعجك بملاحظاته التي تعتبرها في غير محلها لأن اليوم قد يحمل قليلاً من التعب الصحي أو بعض الصدامات فلا تعاند حيث لا يجب. عاطفياً أنت عصبي وغير راض وقد تصبح ناقداً من الطراز الأول وتحقق نسبة كبيرة في النقاشات غير المجدية.

القوس

قد يحمل لك لقاء مع شخص يتجاوب مع تفكيرك العميق بالتغيير فاعتدم على لطفك لأنك تدرك أهمية الدور الذي تلعبه في حياة الآخرين وتملك طاقة غير اعتيادية.

عاطفياً ستكون الأمور مبشرة بالأفضل فقد يتغير شعورك من القلق إلى الحب وتستعيد حرارة علاقاتك.

الجدي

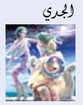

تتخذ حياتك منحى جديداً لأنك تشعر أنك وأخيراً تنال حقك المعنوي وتستمتع بالحياة ما يمنحك الكثير من الطاقة والدعم المعنوي والمالي.

عاطفياً أنت معفى من العصبية في هذا اليوم وبوادر الحلول كثيرة وما عليك إلا أن تختار الأفضل لوضعك.

الدلو

تراجع في المعنويات وقد يكون السبب سفراً أو شجاراً ليس في مكانه أو من دون أسباب منطقية وقد تتصاعد حدة النقاش لينقلب الأمر إلى قطيعة أو هجر فقط لأنك عصبي.

عاطفياً لا تنسحب من معركة كلامية أو تنسحب من موقف قد تشعر فيه أن المحيط يحاسبك بل اشرح مواقفك بهدوء.

الحوت

أنت تراوح بين الانشغالات والسفر والمضايقات النفسية فلا تتحمل مسؤوليات ليست من اختصاصك لأنك من الأشخاص المسؤولين أكثر من اللازم وأهم ما يعنيك في الحياة هو عائلتك وعملك والعمل بخير.

عاطفياً أنت تلعب دوراً فعالاً في محيطك لتفرض آراءك ضمن الأعراف المرعية في محيطك العملي أو الشخصي.